فاعول
من أبنية العربية الفصيحة

د. عبد الجبار عبد الأمير هاني
كلية التربية / ميسان

المقدمـــة:

يتناول هذا البحث دراسة واحدٍ من أبنية العربية الجارية في كلام العرب ، ويجلو حقيقة أن هذا البناء أصيلٌ في العربية غير مُستعار إليها .

كلّ ذلك من خلال الشواهد الفصيحة من كلام العرب فضلاً عما ورد منه في القرآن الكريم وما جرى على لسان الرسول محمد (ص) .

وقد وقف صاحبهُ على آراء علماء العربية المتقدمين في هذا البناء ليخلصَ بعد ذلك إلى جملة حقائق ، مفنداً حجج مَن زعم أن هذا البناء ليس بعربيّ .

كما تناول جملةً من مسائل هذا البناء من حيث الدلالة وصيغ الجمع التي عليها ، وماهية الألف فيه..

ومن الله نستمدُ العون ....

من خصائص العربية ، وأبواب اتساعها ، وفرة وتنوع أبنية الأسماء فيها ، ودلالة كل منها على معنى ، أو أكثر ، من المعاني المفهومة عند العرب على تباين أصقاعهم ولهجاتهم .

وهذا الباب ـ أبنية الأسماء ـ ظاهرة لغوية قديمة حفلت بها العربية الفصحى وهي كائنة في أخواتها السامية ، كذلك ، كما تدل الدراسات المقارنة ، على أن العربية ، كما يبدو ، قد امتازت عليهن بأنها أوفرهن أسماء وأكثرهن أبنية ، لما اتسمت به هذه اللغة الشريفة من تصرف في الكلام وتوسع في الاشتقاق .ومن يستقري الشعر العربي في عهوده المتقدمة استقراء متأنياً لا بد أن يخرج بإعجاب وعجب شديدين لتلك الكثرة ((الهائلة من الصيغ))

وقد أدرك علماء العربيةـ منذ القرن الثاني الهجري ـ اتساع هذا الباب ، في كلام العرب الفصيح ، وجهدوا في حصره ، مشافهة حيناً وتدويناً آخر ، وأول من حاول ذلك سيبويه (ت ١٨٠هـ) في كتابه، كما نعلم . وقفا على أثره آخرون إرادة الحصر والإحاطة به ، فلم يكد أحد يستوعبه لبعد غوره ، وتشعب أطرافه.

قال أبن القطاع في كتابه (الأبنية) :

((قد صنّف العلماء في أبنية الأسماء .. وأكثروا منها ، وما منهم من استوعبها ، وأول من ذكرها سيبويه في كتابه .. وما منهم إلا من ترك أضعاف ما ذكر ...))

ومرجع ذلك إلى اتساع اللغة واختلاف اللهجات ، ووفرة النصوص ، وكل أولئك يتعذر معه حصر ما يصدر عن العرب ، رغم كثرة الرواة والعلماء ، وتنوع أشكال الرواية.

ISSN-1812-7576

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وإذا كان هذا الاتساع قد عرفته العربية ، وفطن له علماؤها منذ عصر الرواية والتدوين ، فليس وراءه ما يزري بخيال أهلها ، أو يقدح في شأن هذه اللغة الشريفة ، ولسنا نرى في ذلك غير منزلة العربية وقدرها بين لغات الأمم المجاورة لها ، وقدرة العرب ، كذلك ، على استخراج الألفاظ ارتجالا وطبعها ، على سمت ما استعملوه وخطبوا به .

وإذ كان تاريخ العربية يدلنا ، كذلك ، على أنها لم تعدم قادحا فيها أو طاعنا في أساليبها فأننا لا نعدم بين المعاصرين أمشاجا ممن لم تكن مزاعمهم أهون من مزاعم القدماء ، وقد ذهب هؤلاء مذاهب شتى ، وإن اتفقت أغراضهم في أن يسلبوا العربية قدرتها على اختراع علومها ، وطبيعتها في توليد الصيغ والأبنية . وإن نسبوا جهود علمائها إلى عناصر دخيلة ، فمن زاعم أن أحكام النحو التي قيدها علماء العربية لم تكن جهداً عربياً خالصاً وأن ((السريان .. هم الذين أعانوا العرب)) في ذلك مقتفين سنن الأغريق ، ومن معتقد بأن الخليل (ت ١٧٥هـ) لم يعمل العروض اختراعا بل أنه ((رأى كتابا في العروض السنسكريتي)) فانتفع به وحذا حذوه .!

وما كانوا ليقفوا عند هذا بل وجدت بعضهم يشمر عن عمله في أصول بعض الأبنية والصيغ لينسبها إلى غير لسان العرب ، وكأنه قد جاء بنبأ عظيم ! محتجاً بأدلة ينكرها واقع اللغة والاستقراء الصحيح ، والتثبتُ السليم ، مخالفاً في ذلك سنن علماء العربية من القدماء ، الذين جهدوا في التحري والتنقيب عن أصول جملة من الألفاظ في كلام العرب ، وما رأينا أحداً منهم عزا هذه الصيغة أو تلك إلى الحبشة أو الروم ، وإذا وجدتهم قد ذهبوا إلى أن الكنيسة مثلا معرب (كنشت) ، بنوها على (فعيل) بمعنى اسم المفعول ، فأنهم لم ينسبوا (فعيلاً) إلى غير لغتهم ، وكذا تعريبهم ألفاظا أخرى على غير هذا البناء .

من هنا تجيء محاولة هذا البحث للردّ على من زعم أن بناء (فاعول) ليس أصيلا في العربية ، ونود قبل أن نشرع في خوض مسائله أن نلفت القارئ الكريم ـ وتلك أمانة ـ إلى أن الأب مرمرجي الدومنيكي قد نظر في هذا البناء قبلنا وصرح بأصالته في العربية والسريانية ، إلا أنه ـ رحمه الله ـ لم يحتج له في العربية إلا بما ساقه من ألفاظ وردت في كلام العرب ، أما نحن فقد ذهبنا مذهباً آخر ، في النظر في الشواهد ، وعرض لآراء علماء العربية ، كما نظرنا في أصل هذا البناء بين أبنية العربية الأخرى ، وما يتضمنه من دلالات مختلفة . وصولاً إلى النتائج المبتغاة .

فاعول في فصيح الكلام :

يدل الاستقراء على أن هذا البناء قد جرى على ألسنة الفصحاء قبل الإسلام وبعده ، كما ورد قدرٌ كاف منه في القرآن الكريم ، وكلام الرسول (ص) . ويحسن بنا أن نعرض لنماذج منتخبة من كل أولئك ، على سبيل المثال لا الحصر ، ونحن نبدأ بالشعر على أنه أسبق النصوص ، فمن ذلك قول علقمة الفحل التميمي:

ظلّت ترقرقُ في الناجود يصفقُها وليدُ أعجمَ بالكتانِ مغدومُ

ISSN-1812-7576

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقول الأعشى :

وليس كمــن دون ما عونــه خواتــمُ بخــلٍ وأقفالُهــا

وقول وبر بن معاوية الأسدي :

وشداة مرهوبِ الأذى قاذورةٍ خشنٍ جوانبه دلوظٍ ضيزنِ

وقول سويد الطائي :

بريحٍ من الكافور والطلحِ أبرمت به شُعبُ الأوداةِ من كل جانب

وقول الأخطل :

يبايعُ بالكف التي قد عرفتها وفي قلبه ناموسُه وغوائلُه

وقول العجاج :

وانهــمَّ هامــومُ السديفِ الــواري

وقول رؤبة :

ولا أُحبّ اللّجــمَ العاطوســـا

وقولـــــه:

أقحمني جــارُ أبي الخامــوشِ

وللكذاب الحرمازي قولـــــه :

واجتمعوا كأنّهــم قـــــارورهْ
فابعث عليهم سنةً قاشـــورهْ

وغير هذا كثير، مما جرى على لسان العرب قبل الإسلام وبعده ، وأُنزل القرآن فجاء بما شاكل كلام العرب إفراداً وتركيباً ، فلا عجب ـ بعد ـ أن نجد فيه حملة من الألفاظ الواردة على هذا البناء من نحو: (**الناقور**) و(**الماعون**) و(**التابوت**) و (**الكافور**) ، وغيرها مما سيردُ ذكره في مواضيع أخرى .

وفي كلام الرسول (ص) قوله في حديث أشراط الساعة : ((وتكون الأرض كفاثور الفضة)) وقوله : ((اتقوا هذه القاذورة)) وقوله في جبرائيل : ((ناموس الله)) وغير ذلك .

ISSN-1812-7576

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تلك أمثلة منتخبة مما ورد على هذا البناء في كلام العرب الفصيح ، فضلاً عن القرآن وأقوال الرسول (ص).

علماء العربية وهذا البناء :

تؤخذ اللغة سماعاً من الرواة الفصحاء ، ونقلاً عن العلماء الثقات ، ولا شك في أن العلماء الذين دونوا اللغة وأحكامها قد توسلوا بذلك كله، وبما وقع لديهم من الآثار الفصيحة في المصنفات المختلفة ، فكان للاستقراء فيما بعد نصيب في استنباط النظائر وصياغة الأحكام ، سواء كانت تلك النظائر متعلقة باللفظ أو التركيب ، لقد أدى النظر في كلام العرب الفصيح بسيبويه إلى أن يقول ـ مثلا ـ : ((وليس في الكلام أُفعيل (بضم الهمزة) ولا أُفعال ولا أفعيل ، إلا أن تكسر عليه اسماً للجمع ..)) وقال : ((وليس في كلام العرب فاعُل)) بضم العين . وبعد فما هو موقف علماء العربية من هذا البناء وكيف نظروا إلى ما ورد عليه من ألفاظ في كلام العرب ؟

قال الخليل ، في قول الشاعر :

حتى دعونا بأرحامٍ لنا سلفتْ وقال قائلهم : إني بحاجورِ

((وهو فاعول ، من المنع ، يعني معاذ .. وعلى قياسه ، العاثور وهو المُتلف)) .

وقال قطرب (ت٢١٦هـ) : ((الماعون : فاعول من المعن ، وهو الشيء القليل ، تقول العرب : ماله معن : أي : شيء قليل)) وإلى نحو هذا ذهب الزجاج فيما بعد .

وحُكي عن الأصمعي : ((آجرة ، والهمزة في الآجر فاء الفعل .. بدليل قولهم الآجور ، فالآجور كالعاقول والحاطوم ..)).

وقال أبو عبيدة في(الكانون) :((هو فاعول ، من كننتُ الشيء إذا أخفيته وسترته)).

وقال أبن دريد في (قابوس) فأن :((جعلت اشتقاقه من العربية فهو فاعول من القبس ..)).

وذهب ابن جني إلى أنه أعجمي ، مُحتجاً بعدم صرفه في قول النابغة :

((نُبئتُ أن أبا قابوس أوعدنــي))

قال : ((فلو كان هذا من : قبست النار ، لانصرف ، لأنه كان يكون بمنزلة " جارود " من الجرد و " عاقول " من العقل)).

والذي يؤخذ من قوله ذها أن جارود (فاعول)من الجرد وكذا عاقول.وعن ابن الأعرابي (ت ٢٣٠هـ): ((النُّطرة : الحفظ بالعين ، بالطاء ، قال : ومنه أخذ الناطور)).

قال أبو بكر الأنباري : ((الجاسوس ، معناه في كلام العرب : المتجسس ، وقد تجسس وتحسس ، بمعنى واحد ، هذا إجماع أهل اللغة)).

وقال ابن فارس : ((الهاوون الذي يُدقّ به عربي صحيح ، وكأنه فاعول من الهون)).

قال الشريف الرضي في قول الرسول (ص) : ((رفقاً بالقوارير .. والقوارير فاعول من استقرار الشيء فيه)).

وقال ابن الجيان :((ووزن ضاوي : فاعول ، مشتق من الضوى وهو الهزال)) .

ISSN-1812-7576

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقال مكي بن أبي طالب في قوله تعالى:((إن يأجوج ومأجوج)) ((قرأها غير عاصم يغير همز)): ((والحجة في ذلك جواز أن يكون لا أصل له في الهمز وهو عربي مشتق .. فإذا قُدر أن لا أصل له في الهمز كان (ياجوج) فاعولا من " يج " ذكره بعض أهل العلم .. وبكون (ما جوج) .. فاعولا أيضاً ومن " مج " الماء ، إذا ألقاه من فيه)). وفي (يأجوج) لغة أخرى هي : آجوج ، ذكرها الفيروزي آبادي ، فكأنها فاعول من أجّ : ويقويه أن " يجّ " غير معروف في اللغة، إلا أن يكون الياء مبدلة من الهمزة ، كما قالوا في (أعصر) اسم رجل : يعصر، وفي أمَّهُ ـ قصده ـ يمّمه ، والتيمّم : التوضؤ بالتراب ، وأصله : التأمّم ، الياء بدل من الهمزة .

تلك جملة من آراء علماء العربية المتقدمين فيما وافق هذا البناء من ألفاظ جرت في كلام العرب المأثور وفيما وافقه من ألفاظ فصيحة وردت في كتاب الله . ونحن نقف بعدها على جملة حقائق :

أولاً : إن (فاعولاً) من أبنية العربية القياسية ، وليس سماعياً كما زعم المرحوم الدكتور كمال إبراهيم. وإن كان كذلك فهو من الشائع المستعمل الذي يُقاس عليه .

ثانياً : أنه من الأبنية المشتقة ، ونعني بهذا دلالته على الوصف وهو الغالب أو على آلة الفعل . إلى جانب معان أخرى سيرد ذكرها في موضع آخر . فضلا عن أن أكثر ما ورد من ألفاظ هذا البناء قد أخذ من أصول ثلاثية كجارود من الجرد وجاسوس من الجسّ ، ونادراً ما اشتقوا منه ، قال ثعلب : ((مزوّق مُفَعّل ، من الزوواق)).

ثالثاً : ثمة ألفاظ في كلام العرب ، لا أصل لها في العربية ، ولكنها جرت على السنتهم مجرى الفصيح ، فخوطبوا بها واستعملوها في خطابهم ومأثورهم الفصيح ، بعد أن ألحقت بأبنية كلامهم المعروفة ، وليس في رد بعض هذه الألفاظ إلى أصول غير عربية ما يقدح في كلام العرب ، فقد كان للعرب ، قبل الإسلام وبعده ، صلات مخالطة ومجاورة لغيرهم من عناصر الأمم الأخرى ، فلا عجب ـ بعد ذلك ـ أن يتسرب إلى السنتهم شيء من كلام تلك الأمم ، والواضح أن ضرباً من تلك الألفاظ نطقت به العرب دون إبدال أو تغيير ، وأن ضرباً آخر منه قد أصابه التغيير بزيادة أو نقصان أو إبدال ، وسبب هذا التغيير كما يذكر السيوطي عن الجواليقي هو أنهم ـ العرب ـ ((يبدلون مع البعد من المخرج ، وقد ينقلونها ـ الأسماء الأعجمية ـ إلى أبنيتهم ..)).

وقال أبو حنيفة الدينوري : ((الحرف (يعني الاسم) العجمي يعرب على وجوه ..)) وذلك بإبدال حرف فيه ، أو بتخفيفه ، أو حذفه ، ليكون جاريا على مثال من أمثلة العربية المعروفة . من هنا وجدتَ العرب قد غيروا لفظ " كنشت " الآرامي إلى " كنيسة " على مثال فعيل بمعنى مفعول.وقالوا في " كواميش " : جاموس ، ألحقوه ببناء هجرع ، وقالوا : آجور ، فألحقوه " بعاقول " .

رابعاً : أن علماء العربية من البصريين والكوفيين وغيرهم من المتأخرين قد أشاروا تصريحاً أو تضميناً إلى هذا البناء ، وأن ذهب بعضهم إلى عدم أصالة بعض ألفاظه في العربية ، وقد حاول البعض الآخر منهم التماس وجه لأصالة فيها عن طريق الاشتقاق وقد مر بنا شيء من ذلك في " قابوس: و"ماجوج" وغيرهما.

ISSN-1812-7576

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المحدثون وفاعول :

كان لنشوء الدراسات المقارنة في العلوم أثرها الكبير في مناهج البحث الحديثة ، وقد أفاد علم اللغة هو الآخر من هذا الضرب من المناهج ، سواء من الناحية التاريخية أو الصوتية أو الدلالية ، أو من ناحية الأبنية . لقد أثبتت مقارنة اللغة السنسكريتية باللاتينية واليونانية مثلا ((وجود قرابة لغوية بين هذه اللغات وأنها ترجع إلى أصل قديم بائد)). وجاء بحث اللغات السامية ، فقام الباحثون بتطبيق هذا المنهج ، فأفاد منه البعض ، فيما توصل إليه من نتائج محمودة في مجالات لغوية مختلفة ، بينما ذهب البعض الآخر في أحكامه مستندا على أساس من الحدس والفروض.

ومن تلك الأحكام ما يتصل بموضوعنا هذا ، فقد أنكر أحد الباحثين اللغويين أصالة هذا البناء في العربية مُحتجاً بأدلة مختلفة لا تنهض أساساً قوياً لزعمه.

قال الدكتور إبراهيم السامرائي:((إن بناء (فاعول) وإن استعمل في العربية فهو من الأبنية السريانية التي استعملها العرب فأضافوه إلى أبنيتهم فألحقوه بأبنية الآلة تارة وبأبنية المبالغة تارة أخرى

ولقد وقفت على حجته في ذلك فوجدتها قائمة على ما يأتي :

أولاً : أن اللغويين العرب لم يشيروا إلى هذا البناء بين أبنيتهم . وهذا يبطله ما عرضنا له من آراء علماء العربية وأقوالهم فيما جاء على هذا البناء ، وحسبك أن الإشارة إليه دليل على كونه منها .

ثانياً : أن أحداً من اللغويين لم يُفرد له باباً أو يخصه بكتاب . وذلك يرجع كما نرى إلى شيوع هذا البناء في كلام العرب ، ولم أقف على ما يوحي بندرته . ومع ذلك فقد خصه السيوطي بفصل تحت عنوان ((**ذكر على ما جاء على فاعول**)) .

ثالثاً : أن هذا البناء ليس من أبنية سيبويه . ولعل ذلك سهو ، فقد ذكره سيبويه في موضع زيادة الألف ، قال: ((وتلحق رابعة مع غيرها من الزوائد وثالثة وثانية .. فأما ما لحقته من ذلك ثانية ، فيكون على (فاعول) في الاسم والصفة ، فأما الصفة فنحو : حاطوم ، يقال : ماء حاطوم وسيل جاروف وماء فاتور ، والأسماء : عاقول وناموس وعاطوس)). وقال فيما جاء ممدوداً منه : ((ويكون على فاعولاء في الأسماء ، نحو : عاشوراء ، وهو قليل ، ولا نعلمه جاء وصفا)) (وقال كذلك في إلحاق اللفظ الأعجمي بكلام العرب : ((فأما الذي ألحقوه ببناء كلامهم ، قدرهم ألحقوه ببناء هجرع .. وقالوا : آجور ، فألحقوه بعاقول)) .يعني بفاعول .

أما ما استدل به الدكتور السامرائي من ورود قدر كبير من هذا البناء في اللغة السريانية على أصالته فيها ، فأننا لا نشك في ذلك :

وإن كنا نختلف معه فيه ، ففي العربية الفصيحة نظائر كثيرة على هذا البناء تحتفظ بها معاجمنا اللغوية ، سواء ما كان أصيلاً فيها أو دخيلاً عليها ، ولم تكن السريانية ـ كذلك ـ بمنأى عن أثر اللغات المجاورة أو أثر أخواتها السامية ، لذا فأنت تجد فيها ألفاظاً دخيلة عليها ، قال بروكلمان : ((أن اللهجات الآرامية الشرقية

ISSN-1812-7576

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومنها السريانية ما زالت حتى اليوم تأثرت مفرداتها تأثراً شديدا بلغات جيرانها القوية من عربية وغيرها)) . ويدل على ذلك ما أورده الدكتور السامرائي من مفردات دخيلة على اللسان السرياني من العربية والعبرية والتركية والفارسية وغيرها.

إن كثرة ما ورد من هذا البناء في كلام العرب الفصيح جعلت علماء العربية يعدونه من الأبنية القياسية ، ومعلوم أن القياس في العربية لا يكون على النادر القليل ، وإنما على ما كثر وأطرد استعماله في الكلام .

دلالــة فاعـول :

من سمات العربية أن أبنيتها لا تخلو من المعاني ، فلكل بناء فيها معنى أو أكثر ، ربما يشركه في هذا المعنى أو ذاك بناء آخر ، فاللغويون يجمعون على أن(فعيلاً) ـ مثلاـ يرد بمعنى(فاعل) و(مفعول) كما ورد ليدل على ثبوت الوصف في صاحبه ، وهو ما اصطلح عليه بالصفة المشبهة باسم الفاعل ، بل أنك لتجد هذا البناء مطرداً في المصادر الدالة على الصوت والحركة . وهذا التنوع الدلالي في البناء الواحد راجع ـ فيما نرى ـ إلى اختلاف اللهجات العربية وطبيعة اللغة العربية في كونها لغة اشتقاق دائم .

ولـ (فاعول) في العربية الفصيحة معان كثيرة ، كما يدل الاستقراء ، غير أن من بين هذه المعاني ما هو أصل . وبينها ما هو متطور عن هذا المعنى ، إن صح هذا القول ، كما أن بينها ما هو راجع إلى لهجة بعينها ، أو أخرى .

ويبدو أن هذا البناء شائع الاستعمال في الوصف ، كما سنرى ، وخير ما يعضد ذلك أن سيبويه قد مثل له في الصفة أولا ، قال : ((فأما الصفة ، فنحو : حاطوم .. جاروف .. وأما الأسماء : عاقول ..)) وغير ذلك فأن أكثر ما جاء على هذا البناء لا يخلو من هذا المعنى .

ولدينا أن المبالغة في الوصف أصل دلالة البناء ، ولا نتفق مع الرأي القائل : ((أن هذا البناء ليس أصلا في المبالغة ، وهو مستعار من " فاعول " في الآلة)).

والعكس هو الصواب ، ذلك أن ما جاء منه في الآلة قليل ، وأن مثل قولنا : ((هو فاروق ، أن المعنى كأنه آلة للفرقان ..)). دليل آخر على أن المبالغة في الحدث هي الأصل ، لأن " فاروقاً " لا تدل بالنص على الآلة ، وإنما دلالتها على دوام الفعل وتكريره حتى غدا صاحب الفعل ، لأجل ذلك ، يشبه الآلة . وما وضع على هذا فهو كثير بالقياس إلى ما جاء نصاً لإفادة أداة الفعل .

وما دام معنى الوصف غالباً على هذا البناء ، فأننا وجدناه يدل على الصفة المشبهة في نحو " قابوس " للجميل الوجه، و " قاذورة " لذي الخلق السيئ ، وربما وجدنا منه ما يدل على " مفعول " نحو : ((ناظورة : سيد ينظر إليه))، و"جارود " لمن يتشاءم منه ، حملوه على المعنى ، والحمل على المعنى وجه من وجوه الاتساع في العربية ، وهو شائع مستعمل في الكلام .

وقد ورد منه ما يدل على المكان ، من نحو((" حاجور " للملجأ ، و " حانوت " و " ماخور " لبيت الريبة ، وهو من قولهم : مخرت السفينة ، سمي بذلك لتردد الناس عليه)).

ISSN-1812-7576

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وكما توسع العرب في دلالة هذا البناء ، فقد توسعوا في دلالة ما جاء منه من ألفاظ فـ(الماعون) : المال ، بلغة قريش ، رواه ابن المسيب ، وقال الفراء عن بعض العرب : الماعون : الماء، وأنشد في وصف السحاب :

" يمجّ صبيرُه الماعونَ صبا "

والأصل في دلالة هذا اللفظ : القلة ، تقول العرب : ما له معن ، أي : شيء قليل ، ويبدوان معناه تطور في الإسلام ، فقد فسر قوله تعالى ((ويمنعون الماعون)) بأنه الزكاة ، وهو يناسب الأصل ، لأن الزكاة قليل من كثير، واحتجوا بقول الراعي النميري :

قومٌ على الإسلام لما يمنعوا ماعونهم ويبدلوا التنزيلا

ومن ذلك (("الكافور " وهو وعاء الطلعة ، سمي بذلك لأنه قد كفرها ، أي : غطاها)) ولعل ذلك هو الأصل ، ثم أطلق الّلع ومن معانيه ((كُمّ العنب قبل أن يُنوّر ، قال العجاج :

كالكرم إذا نادى من الكافور

والكافور : شيء من أخلاط الطيب ، وعين ماء الجنة)) وفي معنى الطيب ورد قوله تعالى ((من كأسٍ كانَ مزاجُها كافورا)) .

وغير هذا كثير في كلام العرب الفصيح ، لا مجال لاستقصائه في هذا الموضع ، وهو دال على تنوع معاني اللفظ الواحد لتنوع الاستعمال ، وتعدد اللهجات .

ما جمع عليه فاعول :

لم يرد هذا البناء مجموعا في العربية إلا تكسيرا ، وكان الأصل أن يُجمع سالما لأنه وصف ، وحق الصفة ((جمعها بالواو والنون .. لأنها تجري مجرى الفعل))إلا أن العرب كسّروها ، فيما نرى ، لعلتين إحداهما : الثقل ، ونعي به ما ينشأ عن إلحاق علامة جمع الصحيح من جهد في النطق ، والأخرى : تكمن في طبيعة اللغة العربية ، في كونها لغة مطواعا سمحة الانقياد إلى اللسان العربي ، لذا تراهم جمعوا هذا البناء على ما يناسبه من أبنية التكسير . ولقد وقفت على جملة صيغ جمع عليها ((فاعول)) وأشهرها :

أولاً : (فُعُل) ـ بضمتين ـ وهذه الصيغة كما يقرر النحاة ، مطردة في كل اسم رباعي ، ثالثه مد ، بشرط صحة آخره، نحو : قضيب وقُضُب ، وصبور وصُبُر وغيرها ، وأما في فاعول ، فنحو ((هو فَجور وفاجور من فُجُر)) ، وجاء في العين : ((وغيثٌ باكور ... وجمعه بُكُر ، قال (المرار بن منقذ) :

جَرّرَ السيلُ بها عشنونَهُ وتهادتها مد اليجٌ بُكُرْ

ويبدو أن فاعول قد جمع على هذه الصيغة حملاً على ما جُمع عليه " فَعول " إذ هي مطردة فيه ، كما سلف ، فلم يعتد بألف " فاعول " لزيادتها.

ثانياً : (فاعول) وهذه مطردة في جمع ما كان اسما من هذا البناء ، وهي بمنزلة " مفاعيل " المطردة في كل اسم خماسي ثايه ساكن ورابعه مدّ ، نحو : ميقات ومواقيت ومقياس ومقاييس ، ومثلها في فاعول : ناقور

ISSN-1812-7576

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ونـواقير وطاغـوت وطواغيـت ، وقـال تعـالى : (صـرح مُمّـرد مـن قـوارير)وقـد يـأتي علـى (فواعل) نحو : كافور وكوافير وماخور ومواخر ، حملاً على بناء (فاعِل) من غير العقلاء ، من نحو : كاهل وكواهل وساعد وسواعد .

وقد وردت صيغ أُخر غير ما ذكرنا ، نحو : فُعَلاً وفَعَلة وفُعّال ، وقد اجتمعت هذه في نحو " ناطور " ، قال صاحب القاموس : الناطر والناطور ... : نُطَّار ونُطر و نواطير ونَطرة أقول : هذا حملٌ على (فاعِل) كذلك ، إذ هي مطردة فيه ، نحو عالم وعُلماء وساحر وسَحَرة وسامر وسُمّار . ذلك فيما لم تلحقه تاء التأنيث ، فأما ما لحقته فقد جمعوه سالماً ، لأنه فرع ، وربما كسروه .

ألف فاعول :

ومذهب سيبويه أنها مُلحة من أجل البناء ، قال : وتلحق رابعة مع غيرها من الزوائد / وثالثة وثانية .. فأما ما لحقته من ذلك ثانية فيكون على فاعول ، وتلك إشارة صريحة إلى أن هذا البناء من أبنية الأسماء التي لحقتها الزيادة في موضعين ، حسبك أنه أصل ، عند صاحب الكتاب ، ويقاس عليه وهو كذلك عند جماعة المتأخرين .

وذهب آخرون إلى أنها مجهولة ، وهي التي وصفها الفيروز ابادي بقوله: ((هي كل ألف لإشباع الفتحة في الاسم والفعل)) فعنده أن ((فَعولاً)) أصل هذا البناء ، أُشبعت فيه حركة الفاء . وإلى هذا النحو ذهب الدكتور إبراهيم السامرائي ، قال :(ونستطيع أن نردّ فاعولاً إلى مطل الحركات) وفي هذا كما ترى ، نقضٌ لما بناه فيما تقدم .

ونحن نرى أن الألف زائدة في هذا البناء ، كما قرر إمام النحاة ولا يصح أن تكون مجهولة فيه ، أعني أن تكون نتاجاً لمطل حركة فاء " فَعول " فهذه وإن وجدت ـ وهي كذلك ـ في جملة ألفاظ ، فليست بأصل .

وإذا كنا نقف على تعاقب " فَعول " في كلام العرب فأن ذلك مردود إلى اتساع اللهجات ، والتطور الصوتي .

قال ابن سيده : ((والعَكوب : الغبار .. والعاكوب ، لغة فيه ، عن الهجري وأنشد :

وإنْ جاء يوماً هاتفٌ متنجدٌ فللخيل عاكوبٌ من الضّحل ساندُ

وقال رؤبة :

ولا أهابُ اللُّجــمَ العَطوســـا

روي : **العاطوســا** .

وقد عدّ بعض العلماء ما ورد من ذلك لحناً ، قال الزبيدي : ((ويقولون : قادوم . فيلحقون الألف يجمعونه على قواديم .. والصواب قدوم)) ولا شك في أن هذا من باب التطور الصوتي ، وليس من باب اللحن كما زعم . وما زلنا نسمع في لهجتنا الحديثة نحواً من ذلك مثل : عامود في عَمود ولاعوب في لَعوب وغيرهما .

ISSN-1812-7576

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الخلاصـــة

ونحن نقف بعد هذا العرض الموجز لهذا البناء على النتائج الآتي ذكرها :

إن " فاعولاً " بناء شائع في كلام العرب الفصيح ، على اختلاف لهجاتها وبيئاتها ، وقد نطق به الشعراء فصحاء ضاربون في البداوة ، من أمثال علقمة والعجاج وابنه رؤبة الذي قيل فيه إنه أفصحُ من عدنان ، وغيرهم .

وما القولُ بفصاحة هذا البناء إلا لكثرة استعماله على ألسنة العرب البلغاء ، وما دام قد تكلمت به العرب قبل الإسلام فقد نزل به نصٌ لا قرينَ له في بيانه وفصاحته ، ذلك هو القرآن الكريم .

وما إن وجه علماء العربية عنايتهم لجمع تراث العربية الفصيح على أثر شيوع اللحن والفساد في الألسنة ، بينوا قواعد الكلام وأحكام الخطاب ، وقيدوا اللغة وأبنيتها على أساس من الاستقراء ، فاستدلوا بكلام العرب على مذاهبهم واحتجوا به على أحكامهم ، وقد أجمعوا على اختلاف المذهب والعصر ـ على أن هذا البناء من أبنية العربية التي يُقاس عليها ، وما قيس على كلام العرب فهو منه .

وقد وضح أن ما جاء على لسان العرب من ألفاظ على هذا البناء وغيره من أصول أخرى ، كالسريانية والعبرية والهندية وغيرها من اللغات ، لا يعني غير التأثر المتبادل بين العربية والأصول الأخرى ، وتلك طبيعة اللغات الحية ، وللعربية سبيل بينة في ذلك ، وهو أن تُلحق اللفظ الدخيل بما خفَّ من أبنيتها بعد تشذيبه وتهذيبه .

أما القول بأن هذا البناء مستعار في العربية من السريانية فقول لا صحة فيه ولا أساس له من الصواب ، ونحن نتساءل : لمَ لا يكون العكس هو الصواب ؟ وقد قرر قبلنا دارسو اللغة وعلماء الساميات أن السريانية : لمْ تكن غير لهجة ضيقة في مناطق جبلية محدودة في بلاد الشام وشمال العراق ، مما يعني أنها ليست واسعة الانتشار ، كما أنها لا تخلو من مفردات عربية وغيرها، وعلماء الآثار يقررون ـ كذلك ـ أن بيئة السريانية ـ في الرها وحمص ـ منذ القرن الثالث قبل الميلاد ، كانت قد تعاقبت على حكمها سلالات عربية ، يدل على ذلك أسماء الأعلام التي احتفظت بها النقوش من أمثال : معن وأبجر ووائل وغيرها. ولا يبعد لدينا إذن ـ أن تكون السريانية هي التي استعارت هذا البناء من العربية فوافق لسانها فتكلمت به .

ويؤيد ذلك ـ غير ما ذكر ـ كثرة استعمال هذا البناء بين القبائل العربية المحتج بفصاحتها من عرب الشمال ، فضلا ان استعماله في لغة اليمن القديمة ـ العربية الجنوبية ـ في أسماء الأعلام من أمثال شاروخ بن عقبة الجعمشي، وناكور بن زيد الكلاعي، وقابوس بن قيس بن سلمة. وهي أعلام منقولة من الوصف كما ترى . وذكر الأستاذ أحمد حسين شرف الدين أن قبائل من صنعاء الحديثة تقلب واو مفعول ألفاً في نحو : موجود " ماجود ، مولود " مالود " ، وغيرها ، مما يكون ظاهرة على فاعول .

ISSN-1812-7576

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الهوامش والمصادر

١. فقه اللغات السامية ، بركلمان ، (تحـ : عبد التواب) الرياض ١٩٧٧، ص٢٨ .
٢. المزهر : السيوطي (تحـ : أبو الفضل) القاهرة ١٩٥٨ (٣/ ٤) .
٣. راجع على سبيل المثال مشكل القرآن لأبن قتيبة (مقدمة المؤلف) .
٤. في اللغة العربية وبعض مشكلاتها ، فريحة ، بيروت ١٩٨٠ ، ص ٢٤ .
٥. القسطاس المستقيم في علم العروض ، الزمخشري ، (تحـ : بهيجة الحسني) بغداد ١٩٦٩ . (المقدمة ص١٤ وما بعدها) .
٦. معجمات عربية ـ سامية الأب مرمرجي ، لبنان ١٩٥٠ ، ص ٨١ .
٧. الديوان : شرح الشنتمري ، (تحـ : الصقال ودرية الخطيب) حلب ١٩٦٩ ، ص٧٠ .
٨. حماسة البحتري (تحـ : شيخو) بيروت ط٢ ، ١٩٦٧ ، ص ٤١٥ .
٩. الوحشيات ، أبو تمام (تحـ : الميمني) مصر ١٩٦٣ ، ص ٢٠١ .
١٠. الهاموم : ما يسيل من الشحم .
١١. الديوان : (تصحيح وليم بن الورد) بيروت ١٩٧٦ (اختلاف الروايات ص ٣١) .
١٢. الخاموش رجل من بني الحارث بن كعب ، القاموس (خمش) .
١٣. لسان العرب ، ابن منظور ، بيروت ١٩٦٨ (قشر) .
١٤. المدثر / ٨ .
١٥. آخر سورة الماعون .
١٦. .. / ١٣٩ .
١٧. الدهر / ٥ .
١٨. اللسان (فثر) .
١٩. المجازات النبوية ، الشريف الرضي (تحـ : طه الزيني) الحلبي ، مصر د.ت ، ص ٢٢٩ ، وانظر اللسان (نمس) .
٢٠. الكتاب ، سيبويه ، (بولاق) (٣١٦/٢) .
٢١. العين : الخليل بن أحمد (تحـ : مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي) بغداد ١٩٨٠ـ ١٩٨٥ (٣/ ٧٤).
٢٢. البحر المحيط ، أبو حيان ، بيروت ١٩٧٨ (٨ / ٥١٦) .
٢٣. اللسان (معن) .
٢٤. الفاخر ، المفضل بن سلمة (تحـ : الطلحاوي) مصر ١٩٥٦ ، ص٧٨ .
٢٥. الاشتقاق ، ابن دريد (تحـ : هارون) مصر ١٩٥٨ ، ص ٣٦٦ .
٢٦. المنصف ، ابن جني (تحـ : إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين) مصر ٥٤ ـ ١٩٦٠ (١ / ١٢٨) .
٢٧. اللسان (نطر) .
٢٨. الزاهر ، أبو بكر الأنباري (تحـ : د. الضامن) بغداد ١٩٨٩ (١ / ٤٧٣) .
٢٩. المقاييس ، ابن فارس (تحـ : هارون) مصر ١٩٣٩ (٦ / ٢١) .
٣٠. المجازات النبوية ، ص ٣٠ .
٣١. شرح الفصيح ، ابن الجيان ، (تحـ : عبد الجبار القزاز) بغداد ١٩٩١ ، ص ٢٥٦ .
٣٢. الكهف / ٩٣ .
٣٣. يعني القراء الستة ، وكذا قرأ بها رؤبة والعجاج ، أنظر القاموس (أجج) .
٣٤. الكشف عن وجوه القراءات السبع ، مكي بن أبي طالب (تحـ : محي الدين رمضان) دمشق ١٩٧٤ (٢ / ٧٧) . وراجع اللسان (أجج) .
٣٥. أنظر اللسان (أجج) .
٣٦. الممتع في التصريف ، أبو عصفور (تحـ : قباوة) ليبيا ١٩٨٣ (١ / ٣٨٢) .
٣٧. القاموس (أمّ ويمّ) .

ISSN-1812-7576

Urgent

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٣٨. عمدة الصرف ، د. كمال إبراهيم ، بغداد ١٩٥٧ ، ص ١٨٤ .
٣٩. الزاهر ٢ / ٢١٩ .
٤٠. المزهر ١ / ٢٧٣ .
٤١. اللسان (قزز) .
٤٢. الكتاب ٢ / ٣٤٢ .
٤٣. مدخل إلى علم اللغة د. محمود حجازي ، القاهرة ١٩٧٨ ، ص ٢١ .
٤٤. دراسات في اللغتين السريانية والعربية ، د. إبراهيم السامرائي ، بيروت ١٩٨٥ ص ١١٢ .
٤٥. راجع ن.م ص ١١ وما بعدها .
٤٦. معاني الأبنية ، د. فاضل صالح السامرائي ، الكويت ١٩٨١ ، ص١١٦ .
٤٧. الكتاب ٢ / ٣١٨ .
٤٨. فقه اللغات السامية ، ص ٢٨ .
٤٩. راجع مثال ذلك ، ص ١١٤ ، ١٢٠ ، ١٣٠ وغيرها .
٥٠. معاني الأبنية د. فاضل صالح السامرائي ، الكويت ١٩٨١ ، ص ١١٦ .
٥١. اللسان (قبس)
٥٢. القاموس (نظر) .
٥٣. البحر المحيط ٨ / ٥١٦ ـ ٥١٨ .
٥٤. اللسان (معن) .
٥٥. البحر المحيط ٨ / ٥١٦ .
٥٦. شعر : الراعي النميري وأخباره (تحـ : القبسي وهلال ناجي) المجمع العلمي العراقي ١٩٨٠ ، ص
٥٧. اللسان (كفر) .
٥٨. العين ٥ / ٣٥٨ .
٥٩. شرح المفصل ، ابن يعيش ، المطبعة المنيرية ، مصر (٥ / ٢٤) .
٦٠. شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك (تحـ : محي الدين عبد الحميد) مصر ط١٤، ١٩٦٤(٢ / ٤٥٨).
٦١. القاموس (فجر).
٦٢. العين (بكر) ٥ / ٣٦٥.
٦٣. النمل / ٤٤
٦٤. راجع الكتاب ٢ / ٣١٨ .
٦٥. ابن عصفور في الممتع ١ / ٩٧ .
٦٦. القاموس (باب الألفية اللينة) ٤ / ٤٠٦ .
٦٧. فقه اللغة المقارن د. إبراهيم السامرائي ، بيروت ١٩٧٨ ، ص ٤٥ .
٦٨. المحكم والمحيط الأعظم ، ابن سيده (تحـ : فراج) مصر ١٩٥٨ . (عكب) ١ / ١٦٩ .
٦٩. الديوان ٧١ . وراجع مقدمة المصحح ، ص ٣١ .
٧٠. لحن العوام ، أبو بكر الزبيدي (تحـ : عبد التواب) مصر ١٩٦٤ ، ص ١٠٠ .
٧١. فصول في فقه العربية ، د. رمضان عبد التواب ، القاهرة ١٩٨٠ ، ص ٣٣ وما بعدها . وقارن فقه اللغات السامية ص ٢٨ ومدخل إلى علم اللغة ص ٩١ .
٧٢. تاريخ الأدب العربي ، بلاشير (ترجمة د. الكيلاني) دمشق ١٩٧٣ (١ / ٦٠) وقارن هامش د. مراد كامل على متاب الفلسفة اللغوية لجرجي زيدان ، ص ٣٠ .
٧٣. الإكليل ، الهمداني، (ت حـ : محمد الأكوع) بغداد ١٩٨٠ (٢ / ٣٧) .
٧٤. الاشتقاق ٣٦٦ .
٧٥. لهجات اليمن القديمة والحديثة ، مصر ١٩٧٠ ، ص ٥٧ .

ISSN-1812-7576

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com